أوّلُ مشاهِدِ يَوم القيامَة

النّفخ في الصُور

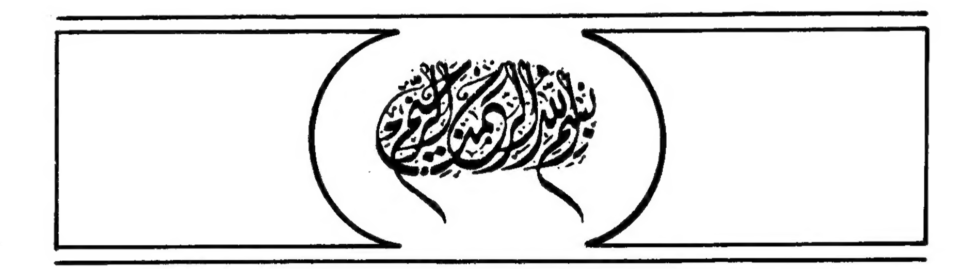
كتبه
محمُود بن خليفة الجاسم

مكتبة ابن تيمية - الكويت

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مكتبة ابن تيمية
النقرة - شارع ابن خلدون
عمارة القاضي . ت٢٦٤٠٠٣٦
ص.ب ٣٣٠٦٣ الروضة 73451 الكويت

النَّفْخ فِي الصُّور


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

إن يوم القيامة يوم عظيم، يوم شديد، يوم عسير يوم عصيب، يوم ترتجف فيه القلوب، وتشخص فيه الأبصار، وتذل فيه النفوس، وتقشعر فيه الجلود، هذا اليوم المنسي، اليوم المهجور، اليوم المتروك، تركه الناس لانشغالهم في الشهوات والملذات والمطامع وفي هذه الحياة الدنيا الفانية والزائلة، وهذا اليوم مليء بالأحداث ومليء بالأهوال والأنكال، وهو يبدأ من النفخ في الصور إلى دخول الجنة أو دخول النار، وفي هذه الرسالة بحث متواضع في أول مشهد من مشاهد يوم القيامة ألا وهو النفخ في الصور، وليعلم العبد أنه مسافر إلى الله تعالى، وأنه سيمر بهذا اليوم، لاشك في ذلك، وأنه لا ينجو إلا بتوفيق من الله تعالى ثم بالعمل الصالح إذا كان خالصا لوجه الله تعالى وعلى هدى رسوله ﷺ. والله أسأل أن ينفعني بما قلت من الحق وأن ينجينا من هذا اليوم العظيم ويحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

كتبه

محمود بن خليفة الجاسم

١٧ ـ شعبان ـ ١٤٠٥هـ

أولا : من أسماء يوم القيامة

(١)ـ **القيامة** : قال تعالى ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة : ١]
قال الشوكاني: قال السمرقندي : أجمع المفسرون أن معنى لا أقسم : أقسم. وإقسامه سبحانه بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه، ولله أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله تعالى(١)

(٢)ـ **الساعة** :قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ١٥] وقوله ﴿الساعة﴾ أي القيامة(٢) قال ابن كثير: وقوله ﴿إن الساعة آتية﴾ أي قائمة لا محالة وكائنة لا بد منها(٣)

(٣)ـ **الغاشية** : قال تعالى ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾[الغاشية : ١] قال ابن كثير: الغاشية : من أسماء يوم القيامة، قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد: لأنها تغشى الناس وتعمهم(٤)

(٤)ـ **التغابن** : قال تعالى ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾ [التغابن : ٩] قوله ﴿ليوم الجمع﴾ يعني يوم القيامة، قوله يوم ﴿يوم التغابن﴾ من أسماء يوم القيامة. والغبن: الاخفاء ومنه الغبن في البيع لاستخفائه، وسمي بذلك لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار(٥)

(٥)ـ **الحاقة** : قال تعالى ﴿ٱلۡحَآقَّةُ. مَا ٱلۡحَآقَّةُ. وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة : ٣] قال ابن كثير: الحاقة من أسماء يوم القيامة إن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله

---

(١) فتح القدير ٥/٣٣٥ قال ﷺ «من حلف بغير الله فقد أشرك» صحيح الجامع ٦٠٨٠
(٢) مختار الصحاح ٣٢١
(٣) ابن كثير ٤/٤٩٩
(٤) ابن كثير ٧/٢٧٥
(٥) تفسير الماوردي ٤/٢٤٦

أمرها فقال ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾(١)

(٦) **الطامة**: قال تعالى ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ [النازعات: ٣٤] وهو يوم القيامة. سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع كما قال تعالى ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦](٢). يقال طم الماء إذا ملأ النهر كله. والطم الدفن والعلو.(٣)

(٧) **الصاخة**: قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ [عبس: ٣٣] قال ابن عباس: الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده. قال ابن جرير: لعله اسم النفخة في الصور. وقال البغوي: الصاخة يعني صيحة يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها.(٤)

ثانيا: اقتراب يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾[الأنبياء: ١] قال ابن كثير: هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها، أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها.(٥) حقا إنهم معرضون عن هذا اليوم الشديد منغمسون في شهواتهم وملذاتهم ومطامعهم، وفي السهرات اليومية والأسبوعية، وفي الرحلات الخارجية إلى أوروبا وغيرها يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.

قال تعالى﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] قال العلامة ابن كثير: يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا

---

(١) ابن كثير ٧/٩٩
(٢) ابن كثير ٧/٢١١
(٣) تفسير الماوردي ٤/٣٩٧
(٤) تفسير ابن كثير ٧/٢١٧
(٥) تفسير ابن كثير ٤/٥٥١

تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (١)

قال تعالى ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]

قوله ﴿أزفت الآزفة﴾ أي اقتربت القريبة وهي القيامة قوله ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ أي لايدفعها إذاً من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه، قوله ﴿سامدون﴾ أي غافلون ومعرضون. (٢)

ثالثا: سرعة مجيء يوم القيامة

قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧] قال أبو السعود في قوله ﴿إلا كلمح البصر﴾ أي: كرجع الطرف من أعلى الحدقة(٣) إلى أسفلها(٤) وعن سهل قال: قال رسول الله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه فيمدهما»(٥) قال الحافظ: المراد بالساعة هنا يوم القيامة، والأصل فيها قطعة من الزمان(٦) وقال القرطبي في «المفهم» حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها. (٧)

وعن أبي جبيرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «بعثت في نسم الساعة»(٨)

---

(١) ابن كثير ٦/٤٦٧ النحل: ١
(٢) ابن كثير ٦/٤٦٤
(٣) الحدق: العين
(٤) تفسير العلامة أبي السعود ٣/٢٨٣
(٥) البخاري.
(٦) الفتح ١١/٣٤٨
(٧) الفتح ١١/٣٤٩
(٨) حديث صحيح في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٨٠٨.

قوله: «نسم الساعة» في النهاية «هو من النسيم أول هبوب الريح الضعيفة» أي: بعثت في أول أشراط الساعة وضعف مجيئها. وقيل: هو جمع نسمة، أي بعثت في نوى أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة كأنه قال: في آخر النشؤ من بني آدم. قال الألباني: فهو بمعنى الحديث الآخر «بعثت بين يدي الساعة»[1]

وقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٧]

قوله ﴿إنهم يرونه بعيدا﴾ أي وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع. قوله ﴿نراه قريبا﴾ أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا، وإن كان له أمد لايعلمه إلا الله عز وجل لكن كل ماهو آت فهو قريب وواقع لا محالة[2].

رابعا: مدة قدر يوم القيامة

قال تعالى ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] قال ابن كثير: ان المراد بذلك يوم القيامة. وهو كلام ابن عباس.[3]

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «مامن صاحب ذهب، ولا فضة، لايؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه، وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة،[4] حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار».[5]

خامسا: الانذار بيوم القيامة

قال تعالى ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن كثير ٧/١١٤.

(٣) ابن كثير ٧/١١٢.

(٤) والشاهد من الحديث أن مدة قدر يوم القيامة خمسين ألف سنة.

(٥) متفق عليه.

قال البغوي: والحسرة: شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد، يقال حَسِرَت الناقة، أي: انقطع سيرها كلالاً.[1]

قال تعالى ﴿**ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**﴾ [إبراهيم: ٤٣] قوله ﴿**تشخص فيه الأبصار**﴾ ترتفع أبصار أهل الموقف[2]. قوله ﴿**مهطعين**﴾ مسرعين. ويقال المهطع: الذي ينظر في ذل وخشوع لا يُقْلعُ بصره.

قوله ﴿**مقنعي رؤوسهم**﴾. أي: رافعي رؤوسهم ينظرون في ذل، والاقناع: رفع الرأس من غير أن يلتفت يمينا أو شمالا قوله: ﴿**لايرتد إليهم طرفهم**﴾ أي لايرجع.

قوله: ﴿**وأفئدتهم هواء**﴾ أي قلوبهم لا تعي شيئا، ولا تعقل من الخوف، والهواء الذي لا يثبت فيه شيء، فهو خال.[3]

قال تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] قوله: ﴿**وأنذرهم يوم الآزفة**﴾ أي القيامة سميت بها لأزوفها وهو القرب.

قوله: ﴿**إذ القلوب لدى الحناجر**﴾ ترفع من أماكنها فتلصق بحلوقهم فلا تعود[4].

قوله ﴿**كاظمين**﴾ مغمومين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الانسان: ١٠] أي يوما قدره خمسون ألف سنة.

قوله ﴿**عبوساً**﴾ أي: شديداً. قوله ﴿**قمطريراً**﴾ أي: منقبضا لا فسحة فيه ولا انبساط.[5]

قال تعالى ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧] الشيب: الذي اختلط سواد شعره ببياضه، وهو الحين الذي يقلع فيه ذو التصابي عن اللهو[6] أي من شدة هذا اليوم يكون الولدان شيبا.

---

(١) شرح السنة ١١٦/١٥.

(٢) تفسير العلامة أبي السعود ٢٠٢/٣.

(٣) شرح السنة ١٢١/١٥ بتصرف.

(٤) أبو السعود: ٤٨٦/٤

(٥) شرح السنة ١١٦/١٥.

(٦) تفسير الماوردي ٣٣٦/٤.

سادسا: قيام الساعة على شرار الناس

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما - فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض في قلبه مثقال ذرةٍ من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد الجبل لدخلته عليه حتى تقبضه) قال: سمعتها من رسول الله ﷺ قال: (فيبقى شرارُ الناس في خِفَّةِ الطير وأحلام السباع[1] لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا[2] ورفع ليتا قال: وأول من يسمعه رجل يلوط[3] حوض إبلِهِ فيصعَقُ ويُصعقُ الناسُ، ثم يرسل - أو قال ينزل الله مطراً كأنَّه الطل أو الظل - نعمان الشاك - فتنبُتُ منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال: يا أيها الناس هَلُمَّ إلى ربكم. وقفوهم إنهم مسؤلون. قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف وتسعمائة وتسع وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق)[4]

في هذا الحديث فوائد عظيمة منها أن الساعة تقوم على شرار الناس وفيه بيان أن الله تعالى يقول لآدم أخرج بعث النار، وقد جاء في حديث آخر بيان ذلك فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله يا آدم:

---

(١) أي في سرعتهم إلى الشر والظلم والعدوان.

(٢) الليت: صفحة العنق.

(٣) يلوط حوضه: أي يطينه ويصلحه.

(٤) رواه مسلم نقلا عن كتاب أهوال يوم القيامة.

فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. قال يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكرى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يارسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة. قال فحمدنا الله وكبرنا. والذي نفسي بيده اني لأطمع أن تكـونـوا شطر(١) أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقم في ذراع الحمار. (٢)

قال الحافظ: في قوله: (يقول الله يا آدم) وقد ظهر من حديث أبي هريرة الذي قبله أن خطاب آدم بذلك أول شيء يقع يوم القيامة ولفظه «أول من يدعى يوم القيامة(٣) آدم عليه السلام فترا أي ذريته» وترا أي الشخصان: تقابلا بحيث صار كل منهما يتمكن من رؤية الآخر. ووقع في رواية الأسماعيلي من طريق الدراوردي عن ثور «فترا أي له ذريته» على الأصل، وفي حديث أبي هريرة «فيقال هذ أبوكم» قوله ﴿اخرج بعث النار﴾ والمعنى: ميز أهل النار من غيرهم، وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء.

قوله: ﴿فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ ظاهره أن ذلك يقع في الموقف، وقد استشكل بأن ذلك الوقت لاحمل فيه ولا وضع ولا شيب، ومن ثم قال بعض المفسرين إن ذلك قبل يوم القيامة، لكن الحديث يرد عليه، وأقول يحتمل أن يحمل على حقيقته، فإن كل أحد يبعث على مامات عليه فتبعث الحامل حاملا والمرضع مرضعة والطفل طفلا، فإذا وقعت زلزلة الساعة وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل

(١) نصف.
(٢) البخاري.
(٣) وهو في البخاري في كتاب الرقاق (باب الحشر).

به المرضعة، ويحتمل أن يكون ذلك بعد النفخة الأولى وقبل النفخة الثانية ويكون خاصا بالموجودين حينئذ وتكون الاشارة بقوله «فذاك» إلى يوم القيامة، وهو صريح في الآية ولا يمنع من هذا الحمل ما يتخيل من طول المسافة بين قيام الساعة واستقرار الناس في الموقف ونداء آدم لتمييز أهل الموقف لأنه قد ثبت أن ذلك يقع متقاربا كما قال الله تعالى ﴿**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**﴾ يعني أرض الموقف، وقال تعالى ﴿ **يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به**﴾

والحاصل أن يوم القيامة يطلق على ما بعد نفخة البعث من أهوال وزلزلة وغير ذلك إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار. قال القرطبي في «التذكرة» يوم الزلزلة يكون عند النفخة الأولى وفيه ما يكون فيه من الأهوال العظيمة ومن جملتها ما يقال لآدم ولا يلزم من ذلك أن يكون ذلك متصلا بالنفخة الأولى، بل له محملان، أحدهما أن يكون آخر الكلام منوطاً بأوله والتقدير يقال لآدم ذلك في أثناء اليوم الذي يشيب فيه الولدان وغير ذلك، وثانيهما أن يكون شيب الولدان عند النفخة الأولى حقيقة والقول لآدم يكون وصف بذلك اخباراً عن شدته وإن لم يوجد عين ذلك الشيء. (١)

سابعا: أول مشاهد يوم القيامة
(١) النفخ في الصور

قال مجاهد: كهيئة البوق(٢) قال الحافظ: والمراد النفخ في الصور وهي الأجساد لتعاد فيها الأرواح. (٣) حكاه عن بعض العلماء. وقال صاحب الصحاح: البوق الذي يزمر به وهو معروف. (٤) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: الصور قرن ينفخ فيه» (٥)

(١) الفتح ١١/٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ باختصار.
(٢) شرح السنة ١٥/١٠١
(٣) الفتح ١١/٣٦٧.
(٤) الفتح ١١/٣٦٨
(٥) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة ٣/١٠٨٠

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر: ١٠] أي: نفخ في الصور(١) قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ [النازعات: ٩] قال ابن عباس: الراجفة النفخة الأولى. الرادفة: النفخة الثانية.(٢)

(٢) حال المَلَك

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه، وحنى جبهته، وينتظر ما يؤمر، فقالوا: يارسول الله وما تأمرنا؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل».(٣)

قال المباركفوري: قوله: ﴿أنعم﴾ أي أفرح وأتنعم من نعم عيشه كفرح اتسع، وفي النهاية: هو من النعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفه.

قوله: ﴿**وصاحب الصور قد التقمه**﴾ أي وضع طرف القرن في فمه.

وقال القاضي رحمه الله: معناه كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور فكنى عن ذلك بأن صاحب الصور وضع رأس الصور في فمه وهو مترصد ومترقب لأن يؤمر فينفخ فيه(٤) فأقول أين هؤلاء الباحثون عن الشهوات من هذا الحديث العظيم، ألا يتوبون إلى ربهم ويستغفرونه؟!

(٣) عدد النفخات

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ

(١) شرح السنة ١٠١/١٥
(٢) الفتح ٣٦٧/١١
(٣) أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني في السلسة ١٠٨٠
(٤) تحفة الأحوذي ١١٨/٧

ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

قال الشوكاني: في قوله: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ هذه هي النفخة الأولى، ومعنى صعق: زالت عقولهم فخروا مغشيا عليهم، وقيل ماتوا. قال الواحدي: قال المفسرون: مات من الفزع وشدة الصوت أهل السموات والأرض، قوله ﴿إلا من شاء الله﴾، والمستثنى جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقيل رضوان وحملة العرش وخزنة الجنة والنار(١) قوله: ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ أي: نفخة أخرى. قوله: ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ يعني الخلق كلهم قيام على أرجلهم ينظرون مايقال لهم أو ينتظرون ذلك. (٣) (٤)

قال الحافظ: ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم، وهو الفزع ما وقع في سورة النمل، قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾(٥) [النمل: ٨٧] ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللاحياء موتا، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين. وقال كذلك: زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع وذكرهم، فقال الحافظ: ليس بواضح بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدة منهما باعتبار من يستمعها، فالأولى يموت بها كل من كان حيا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله، والثانية يعيش بها من مات ويفيق بها من غشى عليه والله أعلم (٦) ومن الذين استثنى الله الشهداء والمرابطون، لقوله ﷺ «للشهيد عن الله سبع خصال: فذكرهم ومنها: قال: «ويأمن من الفزع الأكبر»(٧) وقوله ﷺ «من مات مرابطا في سبيل الله أجرى عليه رزقه وأمن من الفتان،

---

(١) وهذا الكلام بلا دليل والله أعلم.
(٢) وهذا بيان أن النفخة الأولى يموت الخلق إلا من شاء الله وفي النفخة الثانية يقومون من قبورهم إلى الله تعالى.
(٣) فتح القدير ٤/٤٧٥ ـ ٤٧٦
(٤) قال الحافظ في الفتح وفي كل ذلك دلالة على أنها نفختان فقط ١١/٣٧٠.
(٥) (صاغرين.)
(٦) الفتح ٦/٤٤٦
(٧) صحيح الجامع الصغير ٥٠٥٨

وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الأكبر»[1]

(٤) ما بين النفختين أربعون

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، قالوا: أربعون يوما؟ قال أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت[2] قال: ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء إلا يبلى[3] إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب[4] ومنه يركب الخلق يوم القيامة[5]»

قال ابن عقيل: فيه سر لايعلمه إلا هو إذ من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج لشيء يبنى عليه.[6]

(٥) إذا نفخ في الصور يكون يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]
أي: يتحقق يوم الوعيد وهو يوم القيامة.

(٦) خروج الناس:

قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ . قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا

(١) صحيح الجامع الصغير ٦٤٢٠.
(٢) أي امتنعت وهو من كلام الصحابي.
(٣) يفنى.
(٤) هو عظم الصلب المستدير الذي يكون في أصل العجز، وأصل الذنب.
(٥) البخاري ومسلم.
(٦) فيض القدير ٤٣٣/٥.

مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٥٣]

قال الشوكاني في قوله: ﴿**ونفخ في الصور**﴾ وهي النفخة التي يبعثون بها من قبورهم، ولهذا قال ﴿**فإذا هم من الأجداث**﴾ أي القبور ﴿**إلى ربهم ينسلون**﴾ أي يسرعون، ﴿**ياويلنا من بعثنا من مرقدنا**﴾ ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول، وما داخلهم من الفزع أنهم كانوا نياما(١). ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ وهو من قول المؤمنين أو الكفار والله أعلم.

(٧) جمع الناس

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف: ٩٩] قال الشوكاني: والمعنى جمعنا الخلائق بعد تلاشي أبدانهم ومصيرها ترابا جمعا تاما على أكمل صفة وأبدع هيئة وأعجب أسلوب.(٢) وهذه النفخة هي النفخة الثانية كما قال الشوكاني. (٣)

(٨) تقطع الأنساب

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] كقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ ﴾ [عبس: ٣٧] وكقوله تعالى ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]

قال ابن كثير: أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله

(١) فتح القدير ٤/٣٧٤

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣/٣١٥

(٣) المصدر السابق.

نفسه عن غيره.[1]

ثامنا: أحوال المخلوقات يوم القيامة

(١) حال الأرض

قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]

قال الشوكاني: والتبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير، وقد يكون من الصفات كما في بدلت الحلقة خاتما، والآية تحتمل الأمرين وقد وقيل غير صفاتها، وبـه قال الأكثر، وقيل تغير ذاتها،[2] ومعنى ﴿السموات﴾ أي وتبدل السموات غير السموات هذه الأرض حسب ما ثبت عن النبي ﷺ[3]. عن مسروق عن عائشة أنها تلت هذه الآية، وقالت يارسول الله فأين يكون الناس قال: «على الصراط»[4]

قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٩]

قال الشنقيطي: وما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: من أن يوم القيامة يختل فيه نظام هذا العالم الدنيوي، فتسير جباله وتبقى أرضه بارزة لا حجر فيها ولا شجر، ولا بناء ولا وادي ولا علم ـ ذكره في مواضع أخر كثيرة، فذكر أنه يوم القيامة يحمل الأرض والجبال من أماكنها، ويدكهما دكة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ . .﴾ [الحاقة: ١٥]

وقوله: في هذه الآية الكريمة: ﴿وترى الأرض بارزة﴾ البروز: الظهور، أي ترى

(١) ابن كثير ١١٥/٧.
(٢) فتح القدير ١١٨/٣.
(٣) القرطبي ٣٨٣/٩
(٤) رواه أحمد وهو في صحيح مسلم (٢٧٩١) وفي رواية «في ظلمة الجسر».

الأرض ظاهـرة منكشفة لذهاب الجبال والظراب[1] والآكام،[2] والشجر والعمارات التي كانت عليها، وأقوال العلماء في معنى ذلك راجعة إلى شيء واحد، وهو أنها أرض مستوية لانبات فيها، ولا بناء ولا ارتفاع ولا انحدار.[3]

قال تعـالى: ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١] قال البغوي: جعلت مستوية لا أكمة فيها، وأصل الدك: الكسر.[4]

وعن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[5] كقرصة النقي[6] ليس فيها علم لأحد»[7] والشاهد من الحديث صفة الأرض يوم القيامة.

---

(٢)حال الجبال

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٩]

قال الشنقيطي: ومـا ذكـره من تسيير الجبال في هذه الآية الكريمة ذكره أيضا في مواضع أخر. كقوله ﴿**وتسير الجبال سيرا**﴾ وقوله ﴿**وسيرت الجبال فكانت سرابا**﴾ وقـولـه ﴿**وإذا الجبـال سيرت**﴾ وقـوله ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** . . . ﴾ الآية. ثم ذكر في مواضع أخر ـ أنه جل وعلا يفتتها حتى تذهب صلابتها الحجرية وتلين، فتكون في عدم صلابتها ولينها كالعهن المنفوش[8] وكالرمل المتهايل[9] كقوله تعالى ﴿**وتكون الجبال كالعهن**﴾، وقوله تعالى ﴿**يوم ترجف الأرض**

---

(١) الجبال الصغيرة.
(٢) ما ارتفع عن الأرض.
(٣) اضواء البيان ١١٢/٤
(٤) شرح السنة ١٠٩/١٥
(٥) بيضاء ليست ناصعة البياض.
(٦) قرص الدقيق النقي من الغش والنخال
(٧) مسلم.
(٨) المندوف.
(٩) الجاري والمنصب.

والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا [1]﴾ وقوله تعالى ﴿وبست الجبال بسا﴾ أي فتتت حتى صارت كالبسيسة، وهي دقيق ملتوت بسمن، على أشهر التفسيرات، ثم ذكر جلا وعلا أنه يجعلها هباء وسرابا، قال: ﴿ وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا[2]﴾

وقال ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾ وبين في موضع آخر أن السراب عبارة عن لا شيء. [3]

---

(٣) حال السماء

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [الفرقان: ٢٥]

قال الشنقيطي: ذكر جلَّ وعلا في هذه الأية الكريمة أن السماء تتشقق يوم القيامة بالغمام[4]، وأن الملائكة تنزل تنزيلا. قال القرطبي: تتشقق السماء بالغمام أي عن الغمام. [5]

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧] قال البغوي: صارت كلون الورد، تتلون ألوانا يوم الفزع الأكبر. وقيل الدهان: الأديم[6] الأحمر.

وقال تعالى ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ [المعارج: ٨] أي كالزيت المغلي، وقال تعالى: ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٦] أي ضعيفة جدا[7] وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] أي انشقت.

---

(١) الكثيب الرمل المتجمع والمهيل الذي يمر تحت الأرجل.
(٢) أي: غبارا متفرقا منتشرا.
(٣) أضواء البيان ٤/١١٠ - ١١١
(٤) الغمام: أي الغيم الأبيض وإنما سمي غماما لأنه يغم السماء أي يسترها لسان العرب ٢/١٠٢٠.
(٥) أضواء البيان ٦/٣١١.
(٦) الأديم: باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها. مختار الصحاح.
(٧) شرح السنة ١٥/١١٠.

(٤) حال الكواكب (النجوم)

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾ [التكوير: ٢] قيل: انكدرت انصبت، وقيل تغيرت من الكدرة، وكلها متلازمة ولا تعارض.

ويشهد للأول قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴾ [الانفطار: ٢][١] قال الشوكاني: أي تساقطت متفرقة يقال نثرت الشيء أنثره نثيرا. [٢] ويشهد للثاني قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾ [المرسلات: ٨][٣]

أي: محي نورها وذهب ضوؤها، يقال طمس الشيء إذا درس وذهب أثره[٤] قال عطية محمد سالم: لأنها إذا تناثرت وذهبت من أماكنها وتغير نظامها، فقد ذهب نورها وطمست.[٥]

(٥) حال الشمس والقمر

قال تعالى ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ [التكوير: ١] قال تلميذ الشنقيطي: اختلف في معنى كورت هنا أكثر من عشرة أقوال، وكلها تدور على نهاية أمرها: فقيل: كورت: لف بعضها على بعض، فانطمس نورها. وقيل: حجبت بكارة، أي لفت بها، وقيل اضمحلت، وقيل نكست. وقال ابن جرير: نقول كما قال الله تعالى ﴿**كورت**﴾.

والذي يشهد له القرآن، أن هذا كله راجع إلى تغير حالها في آخر أمرها، لأن الله تعالى جعل لها أجلا مسمى، ومعنى ذلك أنها تنتهي إليه على الوجه الذي يعلمه سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ﴿**وسخّر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى**

(١) اضواء البيان ٩/٦٢.
(٢) فتح القدير ٥/٣٩٥.
(٣) أضواء البيان ٩/٦٢.
(٤) فتح القدير ٥/٣٥٦.
(٥) أضواء البيان ٩/٦٢.

﴾ فمفهومه: أنه إذا جاء هذا الأجل توقفت عن جريانها. وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (١) وَخَسَفَ (٢) ٱلْقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [القيامة: ٩] أي بعد أن لم يجتمعا قط، وما كان لهما أن يجتمعا قبل ذلك الوقت. ولعل أقرب الأقوال المنقولة ذلك: هو القول بأنه بمعنى نكست، أي ردت إلى حيث أتت.(٣)

(٦) حال البحار

قال تعالى ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ [الطور: ٦] قال العلامة الشوكاني: أي الموقد، من السحر: وهو إيقاد النار في التنور، ومنه قوله ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦] وقد روى أن البحار تسجر يوم القيامة فتكون ناراً وقيل المسجور المملوء، قيل إنه من أسماء الأضداد يقال بحر مسجور: أي مملوء، وبحر مسجور: أي فارغ، وقيل المسجور الممسوك ومنه ساجور الكلب لأنه ممسكه. وقال أبو العالية: المسجور الذي ذهب ماؤه، وقيل المسجور المفجور، ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٣] وقال الربيع بن أنس: هو الذي يختلط فيه العذب بالمالح، والأول أولى، وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب والأخفش وغيرهم.(٤)

(٧) حال الملائكة

قال تعالى ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ [الحاقة: ١٧] قال البغوي: نواحيها، والملك بمعنى الملائكة هاهنا(٥) قال أبو السعود: أي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجئون إلى أكفافها وحافاتها.(٦)

---

(١) تحير البصر.
(٢) ذهب ضوؤه.
(٣) أضواء البيان ٩/٦٢.
(٤) فتح القدير للشوكاني ٥/٩٤.
(٥) شرح السنة ١٥/١١٠.
(٦) تفسير العلامة أبي السعود ٥/٧٦٢.

(٨) حال العشار

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ [التكوير: ٤].

قال العلامة ابن كثير: قال عكرمة ومجاهد: عشار الابل، قال مجاهد: عطلت تركت وسيبت، وقال أبي بن كعب والضحاك: أهملها أهلها والمقصود أن العشار من الابل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر واحدتها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ـ قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ماكانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل، وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها.(١) وإذا ترك العرب العشار من الابل لانشغالهم بيوم القيامة، فماذا يترك الناس في هذه الأيام؟ إنهم يتركون الأموال والقصور والنساء والملذات والمطامع وغيرها من الشهوات.

(٩) حال الوحوش

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥] قال ابن كثير: أي جمعت كما قال تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] قال ابن عباس: يحشر كل شيء حتى الذباب، وقال عكرمة حشرها موتها(٢). قال أبو السعود: أي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينهما ردت ترابا فلا يبقى منها إلا مافيه سرور بني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه.(٣)

---

(١) ابن كثير ٧/٢٢٢.

(٢) ابن كثير ٧/٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٣) تفسير العلامة أبي السعود ٥/٨٣٧.

(١٠) حال النفوس

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧] قال ابن كثير: أي جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [١] [الصافات: ٢٢] قال ابو السعود: أي قرنت بأجسادها أو قرنت كل نفس بشكلها أو بكتابها أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين.[٢]

(١١) حال النار

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١٢] قال ابن كثير: قال السدي: أحميت وقال قتادة: أوقدت[٣] قال أبو السعود: أي أوقدت أيقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم[٤]

(١٢) حال الجنة

قال تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣] أي قربت إلى أهلها [٥]

تاسعا: قبض الله للسماوات والأرض

قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ

(١) ابن كثير ٧/٢٢٣.
(٢) تفسير العلامة أبي السعود ٥/٨٣٧.
(٣) ابن كثير ٧/٢٢٦.
(٤) ابو السعود ٥/٨٣٨.
(٥) ابن كثير ٧/٢٢٦.

﴿نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] قال ابن كثير[١] يقول تعالى: هذا كائن يوم القيامة ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾ كما قال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الزمر: ٦٧] قال ابو السعود: والطي ضد النشر. قوله ﴿كطي السجل﴾ وهي الصحيفة.[٢] وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[٣]

قال الحافظ: قول: «باب قبض الله الأرض يوم القيامة» لما ذكر ترجمة نفخ الصور أشار إلى ما وقع في سورة الزمر قبل آية النفخ ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعـا قبضته يوم القيامة﴾ الأية وفي قوله تعالى ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ ما قد يتمسك به أن قبض السماوات والأرض يقع بعد النفخ في الصور أو معه.[٤]

عاشرا: علم الانسان بما قدم وأخر

قال تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: ١٤]
قال ابن كثير: هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[آل عمران :٣٠] وقال تعالى ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة: ١٣]
وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة، حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن

(١) ابن كثير ٤/٦٠١.
(٢) أبو السعود ٣/٥٣٩.
(٣) البخاري.
(٤) الفتح ١١/٣٧٣.

مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال عمر: لما بلغ ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال: لهذا أجري الحديث.(١)
في هذه اللحظة ينسى الانسان أمواله وقصوره وشهواته وملذاته ولا يتذكر إلا أعماله وأفعاله كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴾ (٢) [النازعات: ٣٥]

فتذكر يا عبدالله يا مسكين هذا اليوم الشديد، وتذكر هذه اللحظات الحاسمة، وأنت محشور إلى الله تعالى، بلا أعمال ولا أفعال صالحة، في هذه اللحظات ستنسى أموالك وأحبابك وأولادك وأزواجك وستنسى قصورك ولا تتذكر إلا أقوالك وأعمالك وأفعالك، في هذه اللحظة ستنظر إلى أبيك وأمك وأخيك فتقول نفسي نفسي، وتنظر إلى زوجتك وولدك فتقول نفسي نفسي نفسي، وتنظر إلى الخلق جميعا فتقول نفسي نفسي نفسي، فيا عبدالله يامسكين أقبل على الله تعالى بتوبة صادقة وامتثل لأوامره واجتنب محارمه، ولا تنسى هذا اليوم العظيم وأهواله وأنكاله الذي لايتحمله الجبال الصم الصلاب فكيف بك وأنت الانسان الضعيف الذي لا حول لك ولا قوة إلا بالله العظيم.
ونسأل الله تعالى العظيم أن يظلنا في ظله في هذا اليوم يوم لا ظل إلا ظله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) ابن كثير ٧/٢٢٦ - ٢٢٧.
(٢) أي ما عمل في هذه الحياة الدنيا.

مصادر البحث

أهوال يوم القيامة (عبدالملك الكليب).

القرآن الكريم.

تفسير ابن كثير.

تفسير اضواء البيان (الشنقيطي).

تفسير الطبري.

تفسير العلامة أبي السعود.

تفسير الماوردي

تفسير فتح القدير (الشوكاني).

سلسلة الاحاديث الصحيحة (الألباني).

شرح السنة (البغوي).

صحيح الجامع (الألباني).

فتح الباري.

مختار الصحاح.

كتب للمؤلف

١) صفة النار في الكتاب والسنة . (مكتبة ابن تيمية)
٢) العناية بأحوال الهداية . (دار السلفية)
٣) سلم الأماني في الوصول فقه الألباني . (دار السلفية - مع حاي الحاي)
٤) شجاعة السلف . (مع حاي الحاي)
٥) الحشر .
٦) شبهات في طريق الصحوة الإسلامية . (تحت الطبع)
٧) ظواهر من الشرك .
٨) الإصابة في أحكام غسل الجنابة .

الفهرس

